المنة واسرار الذل للواسب فهذا معنى مستتر لا يدخل فيه الوالدان وهو ايضا خصوص لحق
هو اهل ان يشتكى من الناس حدثونا عن يوسف بن اسباط قال قال في الثوري لا يشتكى الا
من عرف موضع الشكى قلت وكيف ذاك قال اخوان ولينا معروفا وكنت اسديت منه رفيعة
منه انتشر اشتغل فلا تشكى والا فلا وسئل ابراهيم رجلا من اصحابه درهمين فلم يكن معه
فاخرج فتى في مجلسه كيسا فيه مائتا درهم فعرضه عليه فلم يقبل وقال الا كل من
بذل لنا شيئا قبلنا وقد لا يقبل الا من يرى نعمة عليه فيما اعطى اعظم من نعمته
علينا فيما ناخذ وحدثونا عن الحسن في قصة طويلة ان رجلا بذل له جملة من المال
ورده فلما انصرف قال له هاشم الاوقص عجبت منك يا ابا سعيد رددت على الرجل
كذا فانصرف حزينا وانت تاخذ من مالك بن دينار ومحمد بن واسع الشيء بعد
الشيء فقال له الحسن وجدان مالكا وابن واسع يبتغيان الى الله عز وجل فيما ناخذ
منهما فعلينا ان نقبل وان هذا المسكين ينظر الينا فيما يعطي جودنا عليه فلننه
وعنده لا يذم احدا ولا يبغضه لاجل الله كان سببا لمنعه اذ كان الله تعالى هو المانع
الاول واذ لاجل المنع من الحكمة مثل ما في العطا من النعمة ولكن يزهده ويبغضه
ان كان استوجب ذلك من مولاه فيكون موافقا له والله تعالى يشهده في العطا
ولير حم المذنبين فما يزيد في زهده ويشهده في المنع والمكروه مشيئته ويزيد البلاخلين
والعاصين فذرة من حكمته وحكما من تقديره لاضداد الاحكام وتفصيل الحلال والحرام
وعود الثواب والعقاب على الايام فهذا الختم الامر واستلال بسر القدر فعمل التوحيد
فالاسلام وسلم له ما استنانا وروي بعض العلماء ان رجلا قال للخيرات اصحابه اذا
الم متاملم واعطينا فلم الكموتنا ومدحونا واذا منعناهم قصروا فيه ثم لكم واعي ضواعتنا
فقال من اصحابه قالوا فلان وفلان فسموا قبل اصحابه فقال فذا مسوا فالواله
كيف قال له انكم اذا ان لم تتمولهم خالف هواكم وان وافقتم مرة لم يوجب عليهم ان ترضى
في مولكم وانما جعلتموهم وافقت هواكم وخالف مرة لم يوجب عليهم ان يعرضوا
عنكم فسال من يفعل ثم لكم من اصحابه ليستطيع المراتب اذ في اصحابه عموم وخصوص
وخصوص فلما وثقتهم ورضيتهم احب عنهم عن معاقبتهم اذ علم ان ثم لكم من يدلهم لكم
في عبده من زهدهم وهكبين هم فيهم وروينا عن الله تعالى لو ان ابن ادم لم
يخف غيري ولو ان ابن ادم لم يرج غيري ما وكلته غيري وروي اعظم من هذا
قال اذا وضع العبد في نفسه مثالا لكل شيء كان يخاف منه دون الله عز وجل
في عمده فيه الى يوم القيامة وقال الفضيل بن عياض من خاف الله تعالى خاف
منه كل شيء ومن خاف غير الله اخافه الله من كل شيء ويقال ان الخوف من
المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الله تعالى وان ذلك من قلة البعد عن الله
عز وجل وقد قال الله تعالى في معناه لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله لا بية

بكان

بكان العبد انما لم يخف من دون الله ازال ثم له الخوف من المخلوقين عن قلبه وحول له
في قلوب المخلوقات فصار هيبة مخافة اذ لم يخفهم وكما انه لما كملت مشاهدة العبد وقام به
بشهادته عينيه تلك المشاهدة وجود الكون مع الله فلم يرها وقام له الغيب بنسبه
بنصيبه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة الملك وهذا هو اليقين لانه هو الاول و
والظاهر وقال سفيان عن يحيى بن ابي كثير مكتوب في التوراة ملعون من يثقته انه
انسان مثله قال سفيان يعني ان يقول لولا فلان هلكت لولا كذا ما كان كذا.
وقوله يثقته هو عندي اعتماده عليه وسكونه اليه لان ذلك شرك في التوحيد
اذ لا ينبغي الا للواحد وهو داخل في قوله الشرك الخفي ويقال ان يقول العبد
لولا كذا كان كذا او لم يكن كذا من الشرك وفي الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان
وقال بعض العلماء تسوف جند من جنود ابليس وقد جاء في تفسير قوله عز وجل
فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قالوا لولا الملاح فارها ومثله قوله تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب دخل اللصوص لا خذنا
السارق وروينا عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز
بالعبيد اذله الله وقد جاء في الخبر لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقد جاء هذا
الوصف في قوله صلى الله عليه وسلم لو عرفتم الله حق معرفته ولو اعطيتم اليقين
يزيل ان حقيقة التوكل في حسن المعرفة وصدق كان عيسى عليه السلام يقول
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم
نحن اكبر بطونا من الطير فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق ويقال
لا يدخر من الدواب الا ثلاثة النملة والفارة وابن ادم وقال ابو يعقوب السوسي
المتوكلون على الله تجري ارزاقهم بعلمه واختياره تسعى الى نهر خصوص عباده
بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشتغلون مكدودون وقال ايضا المتوكل اذا روي الشبع
ارتزاقا ومنهم قوم عبي لا يصلح له التوكل فاول المتوكل ترك الاختيار والمتوكل
على صحة قد رفع الهمة عن الخلق لا يشتكوا ما به اليهم ولا يذم احدا منهم لا في
المنع والعطا من واحد قد شغله عما سواه وقيل لسهل رحمه الله ما ادنى التوكل
قال ترك الاماني قال واوسطه قال ترك الاختيار قيل فما اعلاه قال لا يعرفه الا من
توسط التوكل وترك الاختيار اعطى منزلة الامتثال وقال بعض علماء الطائفة
العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم من المولى ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من ياكل
رزقه بالامتهان ومنهم من ياكل رزقه بالانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز بلا امتهان
ولا انتظار ولا ذلة فالاول التجار ياكلون ارزاقهم بذل في السؤال يشهدون انه في
الخلق فيتذللون لهم والذين ياكلون ارزاقهم بالانتظار فالتجار ينتظرون احد لم نعلاق

Copyright © King Saud University